شاء ان يترك لذريته من بعده خير ميراث من الشرف يتمتعون به في حياتهم ويتركون لذرياتهم من بعدهم وبالجملة من شاء ان يكون رجلاً باكمل معاني الرجولية فليمد يده لمساعدة هذا المشروع (كلية البنات) فهو خير مشروع أخرج للناس وأفضل عمل يعمله الانسان لبني وطنه لانه أعظم بناء لتربية البنات في هذا الزمان وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفق الذين يسعون في هذا العمل الجليل الخطير جعلهم الله تحت سماء الجلال في كل حال

عمر لطفي المنفلوطي

غرائب الاتفاق

هناك على مقربة من اثينا عاصمة بلاد اليونان على شاطئ بحر الارخبيل منزل صغير حقير يقطنه شيخ كبير وولدان وفتاة

وكان الشيخ واسمه يعقوب صالحاً تقياً ربى ولديه على التقوى والفضيلة ومخافة الله فشبا محبين لبعضهما عاملين على نفع ابيهما مشتغلين مكدين ومطيعين لكل اوامره وارشاده

ولم تكن الفتاة التي معهم ابنته بل ابنة اخيه توفى والداها وهي في الثامنة فكفل بها عمها وربّاها حتى صارت اليوم في الرابعة عشر. فبينما كانت الطبيعة تكسب وجهها جمالاً وجسمها صحة وقوامها اعتدالاً كان عمها يثقف عقلها بالعلوم النافعة المفيدة ويربيها على الصلاح والفضيلة حتى صارت موضوع عزاء كبير لاهل هذا المنزل الحقير على وحدتهم وانفرادهم

عن العالم . فبينما كانت موضوع اعجاب الوالد وعطفه وحنانه كانت موضوع حب وكلف وسرور الوالدين . وكان الاخيران يشتغلان مع ابيهما في الحقل ويفلحانه ويستثمرانه ويعيشان من كد ايديهما وثمرة تعبهما

وكانت ماري تبقى في المنزل لتدبيره حتى اذا انتهت من عملها لحقت بهم في الحقل وساعدتهم بقدر استطاعتها

وأُصيب الشيخ يعقوب في ايامه الاخيرة بمرض عضال الزمه الفراش فلزمت ماري المنزل لتتقطع لخدمته وكثيراً ما كانت تجلس الى فراشه تقرأ له في الكتاب المقدس حتى يأخذه النوم فتقوم الى اعمالها المنزلية

وفي غروب ذات يوم أخذ الشيخ ينتظر عودة اولاده من الحقل بفارغ الصبر كمن يكن وراءه كلمة يريد ان يكلفهم بها . واشتد عليه المرض في هذا اليوم وكبرت العلة واستعصى الداء فلما عادا ناداهما ومد يده لجورج فقبلها ثم الى ارنست فقبلها أيضاً . وأجلسهما على سريره الى يمينه وكانت ماري الى يسارة وقال لهم :

لم يعد لي مطمع في الحياة يا بني وكأني أشعر ان المنية قربت وان الساعة دنت وما هي الا بضع ساعات امكثها بينكم ثم امضي بعدها مرتاح البال مطمئن الخاطر عالم انكم ستقومون بوصيتي وعملتم بارادتي

ذلك ان تحبوا بعضكم بعضاً . ولا تفرق شيئاً بينكم أبداً . بل كونوا سنداً وعوناً بعضكم لبعض . اوصيكم وهذه اكبر أماني . ان لا يتطوح بكم هوى النفس الى سكنى المدن فتتركوا هذا الحقل الذي تعبتم في استثماره وتخصيبه ونموتم في ظل شجره وشربتم من لذيذ مائه . اعملوا فيه كأن لم يمت

والدكم وها أنا سأقيم بعد مماتي في طريق الحقل لاكون عليكم رقيباً فلا تغفلوا ان تمروا على قبري كل يوم وتقرؤوني السلام فينتعش ذلك الجدث كلما مررتم به صباحا ومساءً

ادفنوني تحت شجرة الزيتون لتروني كل يوم في روحاتكم وغدواتكم. واستراح قليلا كأنه يفكر فيما يقول ثم استأنف الحديث فقال .

وأنت يا ارنست (ونظر الى ولده الاصغر) اقترب مني انت وماري ابنة عمك لابارككما قبل مماتي . كن لها يا بني نعم الزوج ولا تكدر عليها صفو راحتها وعش معها بسلام

وانتِ يا ابنتي أوصيك بهِ خيراً فابقي على محبته كما احببته من قبل

قال الشيخ يعقوب ذلك لانه كان يعرف ان ارنست يحب ابنة عمه محبة شديدة جداً وكانت هي تحبه وتميل اليه وتعطف عليه اكثر من أخيه الاكبر جورج

على ان الاخير كان يصغي لكلمات أبيه كما يصغي المتهم لسماع الحكم عليه بالاعدام لانه كان يحب ابنة عمه هو ايضاً

وعاد الشيخ يعقوب فاوصى جورج باخيه وابنة عمه خيراً واكد عليه ان لا تتزوج ماري بسلوى ارنست وان يكون لهما نعم العضد ونعم الساعد بعد مماته

على ان الاب كان حنوناً محباً لاولاده وكان الاولاد يبادلونه هذه العاطفة بعاطفة البنوة الصادقة فابكاهم حديثه حتى علا شهيقهم . فصرفهم من حوله بعد ان طيب خاطرهم وطمأنهم

وحقق النـد نبوة الرجل عن قرب منيته فلم يطلع عليه فجر اليوم التالي حتى وجدوه نائما على فراشه يبتسم ولـكنه جثة بلا روح

. . . . . .

دفن الآب يعقوب تحت شجرة الزيتون في طريق الحقل يمر عليه الولدان صباح مساء عند ذهابهم الى الحقل وعودتهم منه

وبني القبر على مرتفع تظله اوراق الزيتون وزرع الفضاء الذي حوله بالزهور الجميله ذات الروائح الذكية

وعاش الاخوان وابنة عمهما بهدو وسلام لا يعكر صفو راحتهم شيء ولم يحصل منهم شقاق او خصام لان الحب كان يعزي قلوبهم جميعاً

فبينما كان ارنست يحب ماري وماري تبادله ذلك الحب الطاهر كان جورج يحبها هو أيضاً محبة تقرب من العبادة ويغار عليها من أخيه ارنست فتخول له نفسه الامارة بالسوء ان يقف في وجه أخيه ويختطفها من بين يديه . ولـكن كانت تغلبه على امره وتوقفه عند حده عاطفة أخرى قوية جداً تقوم في نفسه مقام الغيره التي في فؤاده بعد ان يسحقها سحقاً وتتركه ضعيفاً مغلوبا مقهوراً وتحول الحقد الذي في صدره الى مدامع تبكي من شدة تأثره . هذه العاطفة هي عاطفة الاخوة واحترام ارادة أبيه على ان ارنست وماري قد وجدا فرصاً اكثر ومجالاً اوسع لتبادل الحب بينهما واعلانه بعد ان كانا يكتمانه وكثرت شكواهما وأخذت ماري تتردد الى الحقل في ساعات النهار أكثر بكثير من الاول وذلك لترى ارنست وتبادله كلمة حب واحدة

أما جورج فصار يتجنبهما وينفرد بنفسه كثيراً من شدة غيرته فيجدان هما من وحدتهما وقتاً اطول فيظهران عواطفهما لبعضهما وكثيراً ما كان يغلب عليهما الحب فيتبادلان القبلة . على ان الله كان شاهداً على طهارة ذيلهما ونقاوة قلبيهما وعلو نفسيهما

كان جورج ينفرد بنفسه متململاً مغتاظاً يترقبهما من بعيد ولكن فؤاده كان كبيراً جداً يحتمل محبة لاخيه والغيرة منه في وقت واحد . وكان قادراً على عواطفه فيحبسها ويكتمها ولا يظهرها وان ضاق به صدره

ففي ذات يوم لحقت بهما ماري في الحقل قبيل الغروب وبعد ان انتهيا من عملهما وعزما على الرجوع اعتذر جورج وطلب اليهما ان يسبقاه وهو يلحق بهما

فاخذ ارنست يسير الهوينا وماري مستندة على ساعده اليمين يشكو لها آلامه ويبثها شوقه ويوصف لها محبته وهما آمنين لا يعرفان ما كمن لهما من الشر

أما جورج فلم يكن في الحقل ولا تأخر عنهما بل كان يتبعهما من بعيد والغيرة تعمل في قلبه عمل النار في ناشف الحطب. يروم السلام ولكنهُ غير قادر ان يحارب الشر

وفيما هو يفكر في ذلك اذ وقعت عينه على أرنست وهو ينحني على ابنة عمه يقبلها من جبينها

فثار ثائره ولم يعد يتمالك نفسه أو يحتمل أكثر من ذلك فاستل سكيناً كانت في وسطه وأخذ يعدو وراءهما حتى لحق بهما وطعن خصمه

على ان سكينه اخطأت ارنست واصابت ماري البريئة التي لم تعرف لها ذنباً . فازداد همه وزادت هذه الغلطة عليه شقاوته وخاف ان ينتقم أخوه منه فولّى الأدبار يهيم على وجهه

ولم تصب السكين من ماري مقتلاً بل أصابت ذراعها وخاف ارنست ان يعاود أخوه الطعنة فتصيبه فلف ذراعه على وسط ماري وطار بها يجري وهي بين ذراعيه . وفقه للوقت نفسه الى حقيقة حال أخيه وتحققت ظنونه وعرف انه هو المقصود بهذه الطعنة وفهم ان أخاه يحب ماري مع انه كان يرفعه على مزاحمته عليها

ووصل ارنست وهو يعدو بماري عدواً الى شاطيء نهر ونظر وراءه فلم يجد جورج فسري عنه وهدأ روعه فغسل جرح ماري وضمده وجلس الى جانبها وأسندها الى صدره حتى ارتاحت وقدرت على استئناف المسير

فرجعا افلين يسير بهما الهوينا حتى وصلا الى قبر والده فدخلاه يصليان ويشكوان جورج الى أبيه

أما جورج لما عرف انه اخطأ مرماه واصاب ماري بطعنته جرى هاربا وكأن الطعنة قد اصابت فؤاده هو ولكن ما اسرع ان عادت اليه الندامة وشعر بعظيم ذنبه وحقيقة ما فعل

فتضعضع قلبه وخارت قواه واصطكت ركبتاه ولم يعد يقدر على الجري فوقف وأسند رأسه الى شجرة

وعند ذاك تذكر وصية ابيه فاهاجت فيه اشجانه وحولت الندامه الشر الذي كان في قلبه الى مدامع غزيرة تدفقت من عينيه مرة واحدة

ثم انطلق جرياً حتى وصل الى قبر أبيه واخذ يصلي وهو راكع بندامة حقيقية وحرارة صادقة يكفر عن ذنبه بالدموع التي كان يسكبها . وفيما هو كذلك اذ دخل عليه ارنست وماري مسندة على ذراعه فوقفا مبهوتين لما رأيا علامات الندامة باذية عليه والدموع تتساقط من عينيه . وارادا ان يصليان ولكن جورج تنبه لقدومهما وقام لوقته الى أخيه يطلب العفو منه ولماري يطلب السماح منها فسامحاه . أما هو فقال

ما أطيب قلبيكما واسرع رضا كما . اما أنا فلم انل الصفح من نفسي بعد على ما جنت يداي . بل يجب ان اكفر عن سيئتي و . . . . . .

اصغ اليّ يا ارنست . هذه ماري بين يديك كن حريصاً عليها حرصك على نفسك وعيشا بسلام بعيدين عن شري وغيرتي . لاني أحب ماري واغار منك . لذلك سأتركهما تهنئان ببعضكما أما انا فسأذهب الى . . . . الى . . . الدير لاكفّر عما اتته يداي بما اقدمه من الصلاة الى الله بقية أيام حياتي

وضمهما الى صدره ثم افلتهما وطار جرياً في الفلاة قاصداً الدير وكان يجري بسرعة كأنه يخاف ان يمسكا به ولا يتركانه يذهب . وبكي ارنست وماري لما لم يعد جورج تلك الليلة ولا في الايام التالية وشعرا بوحدتهما بعده ولم يقدرا على البقاء في الحقل وحدهما فحاولا جهدهما ان يحافظا على وصية الآب يعقوب ولكنهما لم يفلحا . وشعرت ماري بهزال في كل جسمها كما اصبح ارنست مفكراً منهوماً حتى صارا يرهبان الحقل ويخافانه وقد أمسى موحشاً مرهبا

فهجرا الحقل وقصدا العاصمة (اثينا) واقاما بين اهلها شهراً واحداً كانا يعدان فيه معدات الزفاف ليجنيا ثمرة حبهما الطاهر الصحيح . ولكن أنى للانسان ان يصفو له الدهر ولا تروعه الظروف او يسنيه السرور بمعقة الصفاء بدون ان يجرعه معه من السم جرعة . كانت عين الدهر لهما بالمرصاد فلم ترضَ ان تراهما على قاب قوسين من السعادة التي كانا يؤملانها بل شاءت ان تفرق بينهما في القريب العاجل

ذلك ان قامت حرب سنة ١٨٩٧ بين الترك وبلاد اليونان وكان ارنست في جملة من تجند للدفاع عن بلاده ووطنه

وظلت ماري في العاصمة تنتظر اخباره كل يوم بقلب يرتجف وفؤاد يتلهف ولكنها لم تسمع لا منه ولا عنه

على ان صاحب المنزل الذي كانت تقطنه كان شاباً ورآها جميلة ساحرة فاضطهدها مدة طويلة حتى التزمت ان تترك منزله وتختفي عن عينيه

فلما انتهت الحرب لم تعثر ماري على ابن عمها لانه كان اصيب في الحرب ببعض رضوض ونقل بسببها الى احدى المستشفيات على انه لما نقه من مرضه وعادت اليه قواه اخذ يبحث عنها في كل المدينة فلم يعثر لها على أثر فاخذ يندبها كما أخذت هي تبكيه لما قطعت العشم من لقائه

. . . . . .

مضى عام كامل من يوم وفاة الاب يعقوب فصحي ارنست من رقاده ذات يوم مذعوراً وخرج مبكراً الى الكنيسة لاقامة الصلاة تذكاراً لمرور السنة على وفاته

في ذلك اليوم فكرت ماري في هـذا الواجب نفسه وقصدت الكنيسة عينها لاقامة الصلاة تذكاراً لوفاة عمها

ولا غرابة فان اتفاق الخواطر يحدث لنا غرائب واتفاقات يكاد العقل ينكرها ولا يسلم بها لولا كثرة حدوثها على ان ارنست سبق ماري الى الكنيسة ولم يستقر في مكانه حتى دخلت هي وما أكثر دهشتهما لما لم يجدا في الكنيسة احداً من غير طائفة القسس سواهما . ولذلك لم يتعذر عليهما معرفة بعضهما

فصاح ارنست قائلاً ماري ماري وصرخت هي ارنست ارنست

وكان القسس كلهم بملابسهم السوداء وعلامة الكآبة والحزن بادية على وجوههم . فالفتهم ونبه خاطرهم وجود ماري وارنست بينهم

وفي هذه اللحظة ذاتها تحرك احد القسوس من مكانه واسرع قاصداً ارنست وماري وهو يبكي وعلى خديه اثر مدامع غزيرة

فالفتت نظر ماري وارنست حركته هذه فنظرا الى القس فلم يعرفاه ولكن قلبهما تأثر من مجرد مرآه

اما القس فوقف امامهما واخذ ايديهما وهزهما بشدة وقال — ألا تذكران اخاكما جورج

فنظرا اليه فاذا به اخوهما حقاً ولكن هذه المدة الصغيرة كانت كافية لان تغير شكله كل هذا التغيير حتى تعذر عليهما معرفته . واراد ارنست ان ينحني على اخيه يقبله ولكن حرج المركز اوقفه عند حده ولو انه اجرى دموعه وعقد الفرح لسانه بلقاء اخيه

على ان السرور باللقاء طفق يبكيهما مدة طويلة حتى الفتوا نظر جميع من بالكنيسة ولم يجدوا مخلصاً من حرج مركزهم الا بالخروج منها

وسأل القس جورج اخاه عن سبب حضوره اليوم الى الكنيسة وتعجبا جداً من هذه الظروف التي جمعتهما

على ان الصلاة التي كانت تقام في الكنيسة كان اقامها القس جورج تذكاراً لمضي السنة على وفاة ابيه فجمعتهم جميعاً هذه المناسبة

. . . . . .

بعد شهر من ذلك الحادث كان القس جورج مهتماً اهتماماً زائداً بتزيين الكنيسة وبهرجتها كأنه يستعد لاقامة احتفال عظيم جداً وعند الساعة الرابعة من ذلك اليوم قدم الى الكنيسة عروسين هما ارنست وماري فخرج القس جورج للقائهما من منتصف الطريق بين ألحان القسوس وترانيم التلاميذ وفي الساعة السادسة خرجا من الكنيسة وهما زوجين تستقبلهما السعادة ويحف بهما السرور

اما جورج فلم يقبل ان يترك الدير بعد ان كرس نفسه لخدمة الله

السيدة ف . ع .